

التنشئة الاجتماعية في الخطاب الأكاديمي

جميلة حميداش *

يعد موضوع التنشئة الاجتماعية من المواضيع التي حظيت بالإهتمام والدراسة من طرف الكثير من العلماء والباحثين في حقول معرفية عدة، ولعل من الأسباب الرئيسية لهذا الإهتمام والتميز في الطرح لكونها عملية تركز في جوهرها على الإستثمار في الإنسان .
فما هي مختلف وجهات النظر التي تناولت هذا الموضوع ؟
قبل التطرق إلى مختلف المقاربات دعونا نتوقف عند تعريف التنشئة الاجتماعية من ناحية لغوية .

وردت الكلمة في معاجم اللغة العربية، «في ما اشتق عن الكلمة نشأ، نشوءاً، نشأة الطفل شب و قرب من الإدراك، فيقال نشأت في بني فلان أي ربيت فيهم و شبت، و منها المنشأ، فيقال مولدي و منشئي في بني فلان، و منها الناشئ و يجمع على نشئ و ناشئة على غير القياس : بمعنى الغلام أو الجارية في قول يعني البالغ، و في قول آخر الحدث الذي جاوز حد الصغر، و من المصدر نشئ الذي يعني النسل أيضاً، يقال : هو نشئ سوء، أو نشئ سوء» (1)

و من الكلمة أيضاً نشأ الطفل : بمعنى ربي و شب، بمعنى ارتفع عن حد الصبا، و دنى من الإدراك (2)، و منها نشأ و نشئ، و أنشأ، تنشئة و تحمل معنى قرئ و معنى تربي . (3)

التنشئة الاجتماعية من منظور علم النفس الاجتماعي :

يتفق الباحثون في هذا المجال على أن التنشئة الاجتماعية تعني اندماج الطفل في المجتمع، والذي يحدث من خلال اكتساب الفرد لمختلف القواعد الاجتماعية و المتمثلة في المعايير و القيم و الضوابط و الممارسات التي تعبر في شكلها الكلي عن ثقافة المجتمع الذي ينتسب إليه، و هذا ما راح إليه كلا من : بيرون Pierron و ب. فولكي P. Foulquée
و ما يفسر هذا الطرح، أن المختصين في هذا المجال المعرفي، حاولوا دراسة التنشئة الاجتماعية من خلال علاقتها بالشخصية و كيفية تكوينها، ذلك لأن هذه الأولى تعد الوسيلة التي يتم عن طريقها تكوين شخصية الفرد، وبناء عليه تعد عملية مهمتها تشكيل السلوك الاجتماعي .

«فهي استداخل ثقافة المجتمع في بناء الشخصية التي تعتبر نتاجا للتفاعل الحاصل بين الطبيعة الأصلية للإنسان (الوراثة) ، و بين وسطه الاجتماعي . فهي تعتبر بتعبير آخر الوسيلة التي من خلالها تكون شخصية الفرد، و هذا إضافة إلى عامل الوراثة الذي لا يمكن بأية حال فصله عن بناء الشخصية» (4) .

ومنه يمكن أن الشخصية هي ذلك الإطار الذي يجمع بين الوراثة و البيئة الاجتماعية في مختلف أبعادها .

* أستاذة الإعلام و الإتصال - جامعة الجزائر

التنشئة الاجتماعية في منظور علم الاجتماع :

علماء الاجتماع يذهبون في تعريفهم للتنشئة الاجتماعية إلى أنها « عملية تعليم و تربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، تهدف إلى اكتساب الفرد سلوكات و معايير و اتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة » (5)

ومنه تدخل التنشئة الاجتماعية في رسم الطرق التي يتبناها الفرد في التفكير « وهذا التفكير هو الأداة الأساسية في التعرف على الذات و المحيط و ما فيهما من تشابكات و إشكاليات يحتاج الفرد لمواجهتها، و تتم المواجهة من خلال قرارات يومية تصدر من الفرد فتحدد ملامح اختياراته بشكل خاص و حياته كلها بشكل عام » (6)

فهي بذلك تعد « الطريقة التي من خلالها يتعلم الفرد، و يستنبط طوال حياته العناصر الاجتماعية و الثقافية الخاصة بوسطه، لدمجها في بنيته الشخصية و ذلك تحت تأثير التجارب و العوامل الاجتماعية المفسرة لها و بناء على هذا يتكيف الفرد مع محيط الاجتماعي » (7).

فأشكال التفكير التي تتجسد في مختلف التجارب اليومية، و الممارسات و التصرفات و ردود أفعال اتجاه مواقف متباينة، و أنماط سلوك و قرارات تصدر في وضعيات مختلفة ما هي في الحقيقة إلا صورة لنموذج ثقافي يتبناه المجتمع، و يهدف من خلال عملية التأهيل الاجتماعي إلى تكيف الفرد و فقه.

التنشئة الاجتماعية من منظور أنثر بولوجي :

إن التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر علماء الأنثروبولوجية، خاصة لدى الذين يهتمون بميكانيزم الاختلاف الثقافي و بالتحويلات المكيفة لسلوك المناسب لثقافته، تعني اندماج الفرد في مجتمع معين عن طريق التطور التدريجي، وبهذا المعنى يصبح الفرد شخصا يكتسب السلوكات التي تؤهله للعيش في بيئة اجتماعية ثقافية.

لهذا « فهي عملية امتصاص تلقائية من الطفل لثقافة المجتمع المحيط به، و هي التي تغرس فيم المجتمع و دياناته و عاداته و تقاليده و نظمه في نفس الطفل » (8)

يبدو جليا من هذا التعريف أن اهتمامات هؤلاء تركز في موضوع التنشئة الاجتماعية على عملية التطبيع الثقافي للفرد في إطار المجتمع الذي يعيش فيه، و هذا التطبيع لا يقتصر على مرحلة واحدة من مراحل عمر الإنسان وإنما يبدأ منذ طفولته الأولى و يبقى مستمرا إلى آخر عمره.

التنشئة الاجتماعية من منظور سياسي :

يركز علماء السياسة في دراسة موضوع التنشئة الاجتماعية على القيم و المعايير السياسية التي يتلقاها الفرد في المجتمع من خلال نظامه السياسي. فالتنشئة الاجتماعية في هذا الخطاب تعني « العملية التي يكتسب فيها الفرد قيما و معتقدات و اتجاهات بصفته عضوا في نظام سياسي و اجتماعي معين، إذ كل نظام سياسي يعمل على غرس مبادئ و اتجاهاته في الناشئة بما يتناسب مع استمرارية ذلك النظام » (9)

فالتنشئة الاجتماعية إذن لا تستثنى بعدا آخر و هو البعد السياسي، ذلك لأننا لا يمكن أن نتصور مجتمع قائم في غياب نظام سياسي منتهج، و الولاء لهذا النظام يستند من خلال استيعاب

الفرد لجملة من القيم، و المعايير السياسية كاحترام الدستور و القوانين، واحترام رموز لدولة، و أداء الواجبات بإخلاص ...

التنشئة الاجتماعية من منظور علوم الإعلام و الاتصال :

يؤكد علماء الإعلام و الإتصال على أن العملية الإتصالية تقوم على المرتكزات التالية : المرسل ويقصد به مصدر الرسالة . الرسالة ونعني بها المعلومات و الأفكار . الوسيلة و التي تشير إلى الأداة أو القناة أو الوساطة التي تنقل بها الرسالة إلى الجهة المعنية . و المستقبل وهو الطرف المتلقي للرسالة . و التغذية الإسترجاعية و التي تعني مدى تأثير الرسالة في المستقبل و استجابته لها و يتم معرفة ذلك من خلال ردود أفعال المستقبل للرسالة .

«فالعملية الإتصالية في جوهرها هي عملية نقل معلومات و تبادل لها . و الإتصال لا يقتصر على الكلمة، و لكنه يمتد ليشمل صوراً متعددة، فالصرخة اتصال و الصورة اتصال، و الضحكة اتصال، و اللباس اتصال، و البكاء اتصال، و غير هذا من المعاني و الرموز التي تحدث أثر لدى الغير، و تشير لديه إحساساً معيناً» (10)

ومنه فالإتصال يشير إلى «العملية و الطريقة التي تنتقل بها الأفكار و المعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم و من حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه». (11)

فالتنشئة الاجتماعية في هذا المنظور هي الإطار الذي تتم فيه و من خلاله نقل المعلومات بين أطراف مؤثرة و متأثرة .

و الملاحظ أن عملية التنشئة الاجتماعية لم تبق تقتصر على مؤسسة الأسرة و المدرسة و المسجد و الشارع ... و إنما تعدت إلى وسائل الإعلام الجماهيري كالإذاعة و التلفزيون و الصحافة و التكنولوجيات الحديثة .

فالهدف الرئيس من عملية التنشئة الاجتماعية يتحدد في التطبيع الاجتماعي للفرد بمعنى الإدماج و التكيف الاجتماعي له و يركز في أساسه على نقل النموذج الثقافي : قيم و معايير و أنماط سلوك و دين و لغة، و اتجاهات ... من فرد إلى فرد آخر، و من جماعة إلى جماعة أخرى، و من جيل إلى جيل آخر عن طريق التواصل الاجتماعي .

بقي أن نتساءل إلى أي مدى يمكن أن يتحقق هذا التواصل الاجتماعي في ظل التغيرات التي تشهدها المجتمعات بصفة عامة و الجزائر على وجه الخصوص ؟

و هل يمكن الحديث عن تواصل اجتماعي طالما الأجيال تنتمي إلى مراحل زمنية مختلفة و إلى مضامين ثقافية هي الأخرى مختلفة تماماً ؟

المراجع :

- 1- قاموس، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص: 807-808.
- 2- البستاني عبد الله، معجم لغوي مطول، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1996، ص : 197
- 3- ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 1988، ص : 632
- 4- مختار محي الدين، محاضرات في علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر بدون تاريخ، ص : 128-132.
- 5- زهران عبد السلام حامد، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 1974، ص : 213.
- 6- هناء العابد، أثر التنشئة الاجتماعية في قدرة الشباب على اتخاذ القرار السليم، رسالة ماجستير، تحت إشراف : د. كامل عمران، جامعة سوريا، قسم علم الاجتماع، 2007.
- 7- Rocher (Guy), Introduction à la sociologi générale, 1-l'action sociale, coll « Point Essais » HMH, Paris, 1970, p : 132
- 8- Wilems (Emilio), Dictionnaire de sociologie, Libr : Marcel Rivière et cie, Paris, 1970, p: 267
- 9- فيصل السالم، أساليب التنشئة السياسية و الاجتماعية، مع دراسات ميدانية في بعض دول الخليج، جامعة الكويت، 1991، ص : 32
- 10- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي : المفاهيم، المناهج الاقترايات، و الأدوات الجزائرية، 1997، ص : 144
- 11- محمود عودة، أساليب الاتصال و التغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص : 5